

أمريكا: إلى أين؟ ٢ - قابلة الولادة القبيحة

ما الذي سيكون عليه حال أمريكا وحال العالم إذا استمر نهجها الحالي - نهج طيش القوة وشطط القوة -؟ وهل هناك احتمال لأن يتغير هذا النهج؟ وإذا تغير فمتى يكون ذلك وفي أي اتجاه؟

نحن نضع في الحسبان قبل كل شيء أن سلوك الولايات المتحدة المشهود ليس خاصا بعهد الرئيس الحالي جورج بوش. فالولايات المتحدة دولة كبيرة. ودور الرئيس في إدارتها يظل محدودا بالقياس إلى دور المؤسسات صانعة القرار. وما قاله جورج تينيت عن قابلية الدول والشعوب والحدود في منطقتنا للتغيير والتبديل قاله في عهد كلينتون قبل عهد بوش وقبل أحداث سبتمبر في نيويورك وواشنطن، ومعنى ذلك أن ملفات التقسيم والتفتيت وإثارة الفوضى باسم البحث عن الديمقراطية جاهزة مسبقا، وأن إدارة بوش هي القابلة التي تستولد هذا المولود القبيح. ومفهوم حكما أن أهداف السياسة الأمريكية مرتبطة بتأمين ما تدعوه مصالحها الحيوية، وهي بعبارة أخرى حصولها على الخامات المختلفة بأرخص الأسعار، وبيع بضائعها وسلعها من جميع الأصناف بأعلى الأسعار.

من هنا يمكن أن تحدث مواجهة مع أصحاب البلاد، لأن التوسع في التعليم والتنوير يستتبع فتح عيون مزيد من شرائحهم المتعلمة على حقيقة الإجحاف في كلا عنصرَي الصفة: شراء الخامات وبيع السلع الجاهزة. بيد أن المراجع المسؤولة في بلادنا جنحت إلى حصر هذه المواجهة في إطار التفاوض في الغرف المغلقة أو المنظمات الدولية (كما هو الحال في أوبيك مثلا).

إلا أن هذا الجنوح للروية من قبل المسؤولين العرب يثير حفيظة غلاة الصهيونيين في الولايات المتحدة وإسرائيل، فهؤلاء متلهفون لاستخدام الآلة العسكرية الأمريكية ضد جميع القوى المسلحة العربية وجميع البنى التحتية والصناعات العربية لسبب لا علاقة له بالولايات المتحدة وإنما بوقاية إسرائيل، على المدى الطويل، من مجرد احتمال تراكم قوة عربية قادرة مستقبلا على التصدي لأطماع إسرائيل وبرامجها التوسعية. ولن تتوقف المراجع الصهيونية عن التآمر على قوى العالم العربي والإسلامي وبناء التحتية حتى لو أعطيت كل الضمانات بأن أحدا لن يمس إسرائيل بسوء. أما الأسلوب الذي تتبعه الجهات الصهيونية في تسخير الآلة العسكرية الأمريكية وتعبئة النخبة السياسية الأمريكية ضد القوة العربية فهي الزعم المتكرر دون انقطاع بأن الدول العربية والإسلامية موشكة أن تخرق القاعدة الأمريكية الهادفة إلى الإبقاء على ميزان القوى العسكرية الدولي على حالته الراهنة التي رجحت فيها الكفة الأمريكية عل كل ما عداها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. والمراجع الصهيونية دائبة على صب دعاياتها في داخل الأذن الأمريكية وفحواها أن أي جهد عربي للحصول على السلاح هو عمل مضاد بالضرورة للولايات المتحدة ولغرضها الاستراتيجي بالإبقاء على ميزان القوى في العالم على حاله. وأغرب ما في الأمر أن إسرائيل التي تدير هذه الدعاية بالاشتراك مع اللوبي الصهيوني في أمريكا هي ذاتها التي تسرب للصين بعض أسرار الصناعة والتكنولوجيا الحربية الأمريكية طلبا لعقد علاقات مميزة مع العملاق الأصفر، مع أن في ذلك خيانة سافرة لمبدأ المحافظة على ميزان القوى لصالح الولايات المتحدة. والأغرب بعد هذا أن الولايات المتحدة مهياة لغض النظر عن خيانة إسرائيل بحق أمريكا مع إسرائيل، في حين أنها تمشي مغمضة العين وراء الأكاذيب الصهيونية الزاعمة أن العرب هم موضع الخطورة على ميزان القوى.

إذا استمرت السياسة الأمريكية على هذا المنوال فإنها ستسعى إلى استفزاز كل دولة عربية وكل قوة عربية على حدة، مع تحييد الباقيين ريثما يحل دورهم. وفي غضون سريان هذا المنهج العدواني تصبح الأبواب مفتوحة على مصراعيها لشتى الاحتمالات بما في ذلك توجيه ضربات مبتكرة ليست في الحسبان ضد القوات والأساطيل والمراكز الدبلوماسية الأمريكية، وربما ضد الولايات المتحدة نفسها. أي أن النتيجة المحتملة هي استفزاز العنف الثأري الذي قالت إنها انطلقت للقضاء عليه فيما يعرف بالحرب ضد الإرهاب.

لا يبدو أن الذين يقدر هذه المخاطر في الولايات المتحدة يملكون من السلطة ما يوقفون به وسوسة الشيطان الصهيوني الذي يزعم أنه الكفيل بأن لا يرتفع صوت ولا ترتفع يد أثناء تدمير دول العالم العربي،

وهو يطالب بأن يجري ذلك في أسرع وقت وأن لا يستثنى أحدا.

وما دامت القوى الصهيونية في العالم مهيمنة إلى هذا القدر على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة فإن العمى الأمريكي سيقود الولايات المتحدة إلى تخبط يجلب الكوارث على رأس العالم بأسره بمن فيه أمريكا نفسها. وقد لا تتوقف الولايات المتحدة لاستنباط الدروس المستفادة إلا إذا وقعت الكوارث فعلا. وعند ذلك قد تقوم بين أصحاب المصالح الأمريكيين الأقحاح حركة جمعية لتحرير الولايات المتحدة من النظام الذي يسمح لأي لوبي أن يفرض رأيه ومصالحه على البلاد. وقد لا يكون هذا في الوقت الحاضر إلا مجرد احتمال ضعيف، ولكنه منطقي، بل ومحتوم بما فيه الكفاية، لسبب بسيط وهو أن اللوبي الصهيوني وصل في الولايات المتحدة إلى قمة التحكم والنفوذ. ولا بد أن القوى الأمريكية تضيق ذرعا بالتبجح الصهيوني، وأنه ليس بعد القمة إلا الانحدار!

